﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٣﴾ [النمل: 2 - 3]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

غـايـةُ إنـزالِ الكتبِ السّماويةِ تحقيقُ الهداياتِ البشريّةِ

هاتان الآيتان مُتّصلتانِ تمامَ الاتّصالِ بالآيةِ السّابقةِ؛ فآيات الكتابِ المُبينِ إنّما أُنزلت لهدايةِ النّاسِ إلى دين اللّه ﷻ، وفيها البُشرى والإنذار للنّاس بحسب استجابتهم لهذه الآياتِ، واقتصر هنا على البشارةِ للمؤمنين الّذين وصفهم بأنّهم يُقيمون الصّلاة ويُؤتون الزّكاة، ويوقنون بالآخرةِ؛ تبيانًا لعمومِ وصفِ المؤمنين.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَبُشْرَىٰ﴾: (بشر) أصلٌ يدُلّ على ظُهورِ الشَّيْءِ مَعَ حُسْنٍ وجَمالٍ؛ فالبَشَرَةُ ظاهِرُ جِلْدِ الإنسانِ، وسُمّيَ البَشَرُ بَشَرًا لِظُهورِهِم والبَشيرُ: الحَسَنُ الوَجْهِ، والبَشارَةُ: الجَمالُ، والبِشْرُ: الطَّلاقةُ، وبَشَّرتُه بالأمر، فبَشِرَ وأبشر واستَبشر وتَبَشَّر: فرِح وسُرَّ، فظهر ذلك على وجهه بانبساط أساريره، كما يُعبَّر عن قريبٍ من ذلك بالبشاشة وبسط الوجه؛ أيْ هو من الانتشار الظّاهريّ: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ۝١٠١﴾ [الصّافات: 101][1]، وذلِكَ يَكونُ بالخَيْرِ، وربَّما حُمِلَ عليه غَيْرُهُ من الشَّرِّ جِنْسًا مِنَ التَّبْكيتِ[2]؛ وقوله: ﴿وَبُشْرَىٰ﴾؛ أيْ: تُبَشِّر بحُسْنِ الثّواب للمؤمنين الّذين صَدَّقوا بها.

2) ﴿يُوقِنُونَ﴾: (يقن) أصلٌ يدُلّ على زَوالِ الشَّكِّ، يُقالُ: يَقِنْتُ، واسْتَيْقَنْتُ، وأَيْقَنْتُ[3]، واليَقينُ من صفة العلم وهو فوق المعرفة

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (بشر).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بشر).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (يقن).

والدّراية وأخواتها، يُقال: عِلْمُ يَقينٍ، ولا يُقال: معرفةُ يَقينٍ، وهو سكون الفهم مع ثبات الحُكْم[1]، وقوله تعالى: ﴿هُمْ يُوقِنُونَ﴾؛ أيْ: يعلمونها ويؤمنون بها إيمانًا تامًّا.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

إقامةُ الصّلاةِ وإيتاءُ الزّكاةِ من أهمِّ صفاتِ المؤمنين

بيّنت هاتان الآيتانِ الكريمتان أنّ آياتِ القرآنِ الكريمِ أُنزلت على النّاس لهدايتهم إلى طريق الحقّ، وأنّها إنّما جاءت بُشرى للمؤمنين الّذين يتّصفون بصفاتٍ جليلةٍ على رأسِها إقامةُ الصّلاةِ على حسبِ ما تقتضيه الحكمةُ، وإيتاءُ الزّكاةِ لمُستحقّيها، فضلًا عن تزكيةِ النّفوسِ وتطهيرِها، وأنّ أهمّ صفاتِ أولئك المؤمنين أنّهم يؤمنون باليوم الآخر إيمانًا راسخًا لا يتزعزع.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

نكتةُ فصلِ قولِهِ: ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾:

الفصلُ لكمالِ الاتّصالِ بين الجُمَلِ

لم تُعطف هذه الآية على سابقتها لكمال اتّصالها بها، ولأنّ هاتيْن اللّفظتيْن اسمان مقصوران احتملا عدّة إعراباتٍ، فيُحتمل أن يكونا منصوبيْن على الحال؛ أيْ: حال كون آياته هاديةً ومُبشّرةً، أو أن يكونا منصوبيْن على المصدريّة؛ أيْ: تهدي هُدًى، وتُبشِّر بُشرى، واحتمل أن يكونا مرفوعيْن على إضمار مبتدأ والتّقدير: هي هُدًى وبشرى، أو على كونهما بدلًا من الآيات، أو على أنّهما خبرٌ بعد خبر على معنى أنّ الآياتِ جمعت بين كونها آياتٍ وهدًى وبُشرى[2].

نكتةُ تنكيرِ ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ﴾:

أفادَ تنكيرُ هذَيْن الاسمَيْن في قوله تعالى: ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ التّفخيمَ والتّعظيمَ، على معنى أنّ آياتِ القرآنِ هاديةٌ وأيّ هدايةٍ، ومُبشِّرةٌ أعظمَ بشرى.

(1) الرّاغب، المُفرَدات: (يقن).
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 207.

غرضُ تقديمِ الهدايةِ على البُشرى:

هدايةُ القرآنِ مَقصِدٌ أصليٌّ، والبُشرى شعارُ الدّينِ

الهدايةُ أعمُّ من البُشرى، ويكون عطف البُشرى على الهداية من عطف الخاصِّ على العامِّ لإفرادِه بمزايا رائقَةٍ تُشعِر بكونه ليس من جنسِ المعطوفِ عليه، نظرًا الى أنّ البشرى هي شعارُ هذا الدّينِ، والهدايةُ مقصدُها الأصليُّ.

معنى اللّامِ في قوله: ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾:

إرشادٌ وتبشيرٌ في الدُّنيا، وهدايةٌ إلى الجنّةِ في الآخرةِ

الهداية والبشرى يتنازعان لفظة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، والهداية بمعناها العامّ ليست حِكْرًا على المؤمنين؛ فهي للنّاس كافّةً؛ وعلى هذا لا تكون اللّامُ للتّخصيص؛ بل للتّعليل؛ أيْ: لأجل المؤمنين، ويمكن أن يكون في الآية فنّ الاحتباك؛ وهو نوعٌ من الحذف يُذكر فيه ما يدلّ على المحذوف؛ فيكون تقدير الجملة: هدًى للنّاس وإنذارٌ للكافرين، وبُشرى للمؤمنين، فحذف من كلٍّ منهما ما دلّ عليه المذكور، وتكون اللّامُ حينئذٍ للتّخصيص.

كما تكون اللّام للتّخصيص على معنى الهداية الخاصّ؛ أيْ: (يهديهم إلى الجنّة وبُشرى لهم) أو على أنّ المقصودَ زيادةُ الهُدى على هُداهم كقول الله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ [مريم: 76]"[1].

معنى (أل) في ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾:

القرآنُ هدًى لِمَنِ اتّصفَ بالإيمانِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ

أفاد تعريفُ ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الاستغراقَ؛ ليعمّ كلَّ مَن اتّصف بالإيمان، ولا وجهَ لحملِه على فئةٍ معهودةٍ ومُحَدَّدةٍ؛ لأنّ الهداية والبشرى غيرُ مُقَيَّدةٍ بزمانٍ ومكانٍ وأحوالٍ.

بلاغةُ المجازِ العقليِّ ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾:

في إسنادِ الهدايةِ للمُنَزَّلِ دونَ المُنَزِّلِ مَجازٌ لطيفٌ

في وصْفِ الآياتِ بالهُدى والبُشرى في قوله تعالى: ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ مَجازٌ عقليٌّ؛ إذ الهادي والمُبَشِّرُ هو الله تعالى عن طريق

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 540.

رسوله الكريم ﷺ بِسَبَبِ الكِتابِ[1]؛ فالمجاز العقليّ أو الحُكْميّ هو إسنادُ الفعل لِمَن لم يقع منه لعلاقةٍ وقرينةٍ، وهنا أُسندت الهداية والبُشرى لآيات الكتاب، وهي من الله أوّلًا وأخيرًا، لكون الآيات سببًا في ذلك.

نكتةُ فصلِ قولِه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾:

لم تُعطف آية ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ على سابقتها؛ إمّا لكمال الاتّصال بينهما؛ لكونها بيّنتْ صفاتِ أولئك المؤمنين، ولا عطف بين التّابعِ والمتبوعِ، وإمّا لِشِبه كمال الاتّصال أو ما يُعرف بالاستئنافِ البيانيّ جوابًا عن سؤالٍ مُقَدَّرٍ بعد الآيةِ الأولى تقديرُهُ: ومَنْ هم أولئك المؤمنون الّذين استحقّوا الهدايةَ والبُشرى؟

الفصلُ لكمالِ الاتّصالِ أو لشبه كمالِهِ

لَمّا كان وصْف الإيمان خفيًّا، وصَفَهم بما يُصَدِّقُه من الأمور الظّاهرة من إقامة الصلاةِ، وإيتاءِ الزكاةِ، واليقينِ بالآخرةِ[2].

عمومُ لفظِ الإيمان يقتضي تخصيصه

بلاغةُ التّعبيرِ بالاسمِ الموصولِ وصِلتِهِ:

أفاد التّعبيرُ بالاسم الموصول في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ التّفخيمَ والتّعظيمَ لأولئك المؤمنين، فالاسم الموصول مُبهَمٌ، وهو يفتقر إلى جملةِ صلةِ الموصولِ لتُزيلَ إبهامَه، وجاءت جملةُ صلةِ الموصولِ هنا بالمضارعيّةِ الّتي تقتضي التّجدُّدَ الاستمراريَّ، فحالُ أولئك المؤمنين المداوَمَةُ والمُلازَمَة لإقامةِ هذه الشَّعيرةِ، فضلًا عن إفادةِ المضارعِ استحضارَ صورتِهم وهم يُقيمون أركانَها في سائر حياتهم.

صفةُ المؤمنين ديمومةُ العبادةِ ومُلازَمتُها

بلاغةُ المجازِ في ﴿يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾:

وَصَفَت الآيةُ المؤمنين بإقامة الصّلاةِ في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ دون أدائها؛ لِما في الإقامة من معاني ظهورِ آثارِ هذه الصّلاةِ في معتقداتِهم وأقوالِهم وأفعالهم، بخلاف أدائها الّذي

في الأمرِ بإقامةِ الصّلاةِ مَجازٌ مُرسَلٌ أو استعارةٌ تبعيّةٌ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 219.
(2) البقاعيُّ، نَظْمُ الدُّرر: 14/ 126.

يقتضي الإتيانَ بأفعالِها وأقوالِها بطريقةٍ مخصوصةٍ دون اشتراطِ ظهورِ آثارِها على الجوارحِ، فكان للقيامِ لَوازِمُ عُرْفيَّةٌ مَأخوذَةٌ مِن عَوارِضِه اللّازِمَةِ، ولذلك أُطْلِقَ مجازًا على النَّشاطِ في قولهم: قام بالأمر، فهو مِنْ قَبيلِ المَجازِ المُرْسَلِ، وشاع فيها حتَّى ساوى الحقيقةَ فصارت كالحقائقِ، فإقامَةُ الصَّلاةِ استعارةٌ تَبَعيَّةٌ شَبَّهَتِ المواظَبةَ على الصَّلَوات والعنايةَ بها بجَعْلِ الشَّيْءِ قائِمًا[1].

معنى (أل) في ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ و﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾:

الصّلاةُ والزّكاةُ المعروفتان، أو الأمور الّتي توسَم بالطّهارةِ والتّزكيةِ

إمّا أن يكون تعريف ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ و﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ عهديًّا ذهنيًّا إذ إنّ المُراد منها الصّلاةُ المعروفةُ، وقد فُرضت عليهم في مكّة، والزّكاة المعروفة وإن لم تُفرض بعد؛ فإنّ أصول هذه الشّرائع تحدّثت عنها السّور المكّية في أكثر من موضعٍ توطئةً وتهيئةً للعمل بها بعد ذلك في المدينة، وإمّا أن تكون (أل) جنسيّةً تَشْمَل سائرَ الأمور الّتي توسَم بالطّهارة والتّزكية، فالزّكاة بمعنى الطّهارة من النّقائص وملازمة مكارم الأخلاق، لكنّه خلافُ المشهور في الزّكاة المقرونة بالصّلاة ويُبعده تعليق الإيتاء بها[2].

نكتةُ عطفِ إيتاءِ الزّكاةِ على إقامةِ الصّلاةِ:

مآلُ الإصلاحِ بين العبدِ والخالقِ إصلاحُ التعاملِ مع الخلائقِ

جاء عَطْفُ إيتاءِ الزَّكاةِ على إقامةِ الصَّلاةِ في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ ليَجمع بين صفتيْن عمليّتيْن من صفات المؤمنين: الصّلاة الّتي هي رأسُ العبادات البدنيّة بإقامةِ حدودِها الظّاهرةِ والباطنةِ من المواقيتِ والطّهاراتِ والشّروطِ والأركانِ والخشوعِ والخضوعِ والمراقبةِ والإحسانِ؛ إصلاحًا لما بينهم وبين الخالق، وبين الزّكاة الّتي هي رأسُ العباداتِ الماليّةِ، وهي

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/ 231.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 19/ 234.

العبادة ذات المساسِ المباشرِ مع الناسِ، إحسانًا فيما بين المؤمنين وبين الخلائقِ من خلال التَّوسعةِ على الفقراء بوصفه المقصود الأعظم من الزَّكاة[1].

سرُّ تقديمِ ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ على ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾:

تقديمُ إقامةِ الصّلاةِ على إيتاءِ الزّكاةِ لفضلِها وعمومِ وجوبِها

جمعتِ الآية الكريمة ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ بين وصْف المؤمنين بإقامة الصّلاة وإيتائهم الزّكاة؛ لأنّهما من أعظمِ العباداتِ وأهمِّ شرائع الدّين؛ ولذلك اقترنا مرارًا في القرآنِ الكريمِ، مع تقديمِ الأمرِ بإقامةِ الصّلاةِ على الأمرِ بإيتاءِ الزّكاةِ في جميعِ هذه المواضع؛ لأنّ الصّلاةَ أعظمُ عند اللّهِ، وهي لا تَسقُط عن المُكلَّف بحالٍ من الأحوالِ، بخلافِ الزّكاةِ الّتي قد تسقُط عن غيرِ القادرِ، أو عَدَم تَحَقُّق شروطِها.

معنى الواو في جملة ﴿وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾:

الجملةُ معطوفةٌ أو حاليّةٌ أو معترِضةٌ

الواو في قوله: ﴿وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ إمّا أن تكون عاطفةً، أو حاليّةً، أو معترِضَةً بحسب المعاني المُحتمَلة؛ فالعطفُ لاحتمال أنْ يكون من جملة صلة الموصول، أو معطوفًا على الصّلة وليس من الصّلة؛ ولذلك خولف بين أسلوبها وأسلوب الصّلة فأُتي له بجملةٍ اسميّةٍ اهتمامًا بمَضمونها؛ لأنّه باعِثٌ على فِعْلِ الخيرات[2].

ويحتمل أن تتمّ الصّلة عنده ويكون جملةً اعتراضيّةً، كأنّه قيل: وهؤلاء الّذين يؤمنون ويعملون الصّالحاتِ من إقامةِ الصّلاة وإيتاءِ الزّكاةِ هم الموقنون بالآخرة، ويدلّ عليه أنّه عَقَدَ جملةً ابتدائيةً وكرَّر فيها المبتدأ الّذي هو (هُم) حتّى صار معناها: وما يوقن بالآخرة حقّ الإيقان إلّا هؤلاء الجامعون بين الإيمانِ والعملِ الصالحِ؛ لأنّ

(1) البقاعيُّ، نَظْمُ الدُّرر: 14/ 126.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 19/ 219.

خوفَ العاقبةِ يحملهم على تحمُّل المشاقِّ[1]، إلّا أنّ من شرط الجملة الاعتراضيّة أن تقع بين شيئَيْن يتعلّق بعضهما ببعض، كوقوعها بين صلةٍ وموصولٍ، وبين نعتٍ ومنعوتٍ، أو بين قَسَمٍ أو شرط وجوابهما[2]، ويُمكن أن تكون الواو حاليّةً دون أدنى تكلُّفٍ[3]، على معنى: يُقيمون الصّلاةَ ويُؤتون الزّكاةَ، وحالهم أنّهم يوقنون بالآخرة.

نكتةُ العُدولِ في النّظْم من الجُملِ الفعليّةِ إلى الاسميّةِ:

ثـبـوتُ يـقـينِ المؤمنين بالآخرةِ واستمرارُه

إذا كانت هذه الجملة ﴿وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ معطوفةً على جُمَل صلة الموصول؛ فهناك عُدولٌ في النَّظْم من الأسلوب الفِعليّ إلى الأسلوب الاسميّ، للدّلالة على قوَّةِ يقينهم وثباتِه وأنَّهم أوحديّون فيه[4]، فالجملة الاسميّة تُعطي معاني الثّباتِ والاستقرارِ، لذلك أفاد هذا العدولُ في النّظم العنايةَ بأمرِ إيقانِهم بالآخرةِ، وأتى بخبر المبتدأ ﴿هُمْ﴾ جملةً فعليّةً ﴿يُوقِنُونَ﴾، لإفادة هذا التّجدّد.

فائدةُ الوصفِ بالإيمانِ بالآخرةِ بعد الوصفِ بإقامةِ الصّلاةِ وإيتاءِ الزّكاةِ:

الإيـمـانُ باليومِ الآخـرِ هـو ثـمرةُ أركـانِ الإيـمـانِ جميعها

لمّا كان الإيمانُ بالبعثِ هو الجامع للصّلاةِ والزّكاةِ ولغيرِهما من سائرِ الطّاعاتِ، ذكره مُعَظِّمًا لتأكيده؛ فقال مُعلِمًا بجعله حالًا: ﴿وَهُم﴾؛ أيْ: والحال أنّهم[5]، وذلك أنَّ كمال الإنسان في أن يعرف الحقَّ لذاته، والخيرَ لأَجْل العَمَلِ به، وأمّا عرفانُ الحقِّ فأقسامٌ كثيرةٌ لكن الّذي يُستفاد منه طريقُ النَّجاة معرفةُ المبدأ، ومعرفةُ المَعاد، وأمّا الخير الّذي يُعمل به فأقسامٌ كثيرةٌ وأشرفُها قسمان: الطّاعةُ بالنَّفسِ، والطّاعةُ بالمالِ؛ فقوله: ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ إشارةٌ إلى معرفةِ المبدأ، وقولُه: ﴿يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ إشارةٌ إلى الطّاعةِ

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 347.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 208.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 272.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 272.
(5) البقاعيُّ، نَظْمُ الدُّرر: 14/ 126.

بالنّفس والمال، وقولُه: ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ إشارةٌ إلى عِلْم المعادِ، فكأنّه سبحانه وتعالى جَعَل معرفة المبدأ طرَفًا أوّلًا، ومعرفةَ المعاد طَرَفًا أخيرًا، وجَعَل الطّاعةَ بالنّفسِ والمالِ مُتوسِّطًا بينهما[1].

نكتةُ تقديمِ شبه الجملةِ ﴿بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ على المُسندِ:

أفاد تقديمُ شِبْه الجُملةِ ﴿بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ في قولِه تعالى: ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ العنايةَ بشأنِ الإيمانِ بالآخرةِ دون سائرِ الأركانِ؛ لذلك اقتصر عليها؛ لأنّ الإيمانَ باليومِ الآخرِ أصلٌ عظيمٌ تقوم عليه أركانُ الإيمانِ الأخرى، فضلًا عن أنّ في تقديمها مراعاةً لفاصلةِ الآيةِ.

الإيمانُ باليومِ الآخرِ أصلٌ عظيمٌ تقوم عليه أركانُ الإيمانِ الأخرى

بلاغةُ القَصْرِ في قولِهِ: ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾:

يجوز أن تكون (هم) الأولى في قوله تعالى: ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ مبتدأً، والجملةُ الاسميّةُ المكوَّنَةُ من مبتدأٍ وخَبرٍ ﴿هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ خبرَه، وفائدةُ الإتيانِ بالخبرِ جملةً اسميّةً هي الدَّلالة على ثبوتِ هذا الوصفِ وتمكُّنِه فيهم، ويجوزُ أن تكون ﴿هُمۡ﴾ الثّانية ضميرَ فصلٍ أُتي به بين المبتدأ وخبره للقصر؛ أيْ: ما يوقِنُ بالآخِرَةِ إلّا هَؤُلاءِ، فيكون من قصرِ الصّفةِ على الموصوفِ، والقَصْرُ إضافيٌّ بالنِّسبةِ إلى مُجاوريهم من المشركين، وإلّا فإنَّ أهلَ الكتابِ يوقِنون بالآخرةِ، إلّا أنَّهُم غَيْرُ مَقصودٍ حالهم للمخاطَبينَ من الفريقَيْنِ[2].

ما يوقن بالآخرةِ من أهلِ قريشٍ إلّا هؤلاء المؤمنون

ولمّا كان الإيمانُ بالبعثِ هو السببَ الأعظمَ للسّعادةِ وهو محطٌّ للحكمةِ وموئلٌ للاعتبارِ؛ عبّر فيه بما يقتضي الاختصاصَ، لا للاختصاص؛ بل للدّلالةِ على غايةِ الرُّسوخِ في الإيمانِ به؛ أي: المختصّون بأنّهم يوقنون بالآخرة؛ أيْ: يوجِدون الإيقانَ حقَّ الإيجادِ ويُجَدِّدونه في كلِّ حينٍ[3].

من عظيمِ أسبابِ سعادةِ المرءِ إيمانُه بالآخرةِ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 541.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 19/ 219.
(3) البقاعيُّ، نَظْمُ الدُّرر: 14/ 126.

دلالة التّعبير بـ﴿يُوقِنُونَ﴾ مادّةً وصيغةً:

رسـوخُ الإيـمـانِ في قلوبِ المؤمنين دون أدنى ريبٍ فيه ولا شكٍّ

تقدَّم في شرحِ المُفرَداتِ أنّ اليقينَ يفوقُ المعرفةَ والدِّرايةَ، وأنّه قد يكون ناشئًا عن علمٍ، أو معاينةٍ، أو دليلٍ، لذا فإنّ الإتيان به في قوله تعالى: ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ دلّ على أنّ إيمانهم بالآخرةِ قد أصبح يقينًا لا شكّ فيه، وأمّا التّعبير بالفعل المضارع ﴿يُوقِنُونَ﴾ فقد أفاد تجدُّدَ اليقينِ بالآخرة في قلوبهم كُلَّما تَرَسَّخَت أقدامُهم في هذا الإيمان.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الإيتاء والإعطاء:

الإيتاءُ أقوى من الإعطاء في إثبات مفعولِه؛ لأنَّ الإعطاء له فعلٌ مطاوعٌ، تقول: أعطاني فعطوتُ، ولا يُقال في الإيتاء: آتاني فأتيتُ، وإنَّما يُقال: آتاني فأخذتُ، ويترتَّب على هذا أَنَّ الإيتاءَ أقوَى مِنَ الإعطاءِ؛ لأنَّ المُتقرِّرَ أنَّ ما له مطاوعٌ مِنَ الأفعالِ أضعفُ في إثباتِ مفعوله ممّا لا مُطاوِعَ له[1]، ولذلك عبَّر بالإيتاءِ في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عِمرانَ: 26] لأنَّ المُلك شيءٌ عظيمٌ لا يُعطاه إلّا مَنْ له قوّةٌ، وكذا قوله: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ [الأعراف: 171] لعِظَمِ الكتابِ وشأنِه[2]، ويُستعمَلُ الإيتاءُ غالبًا فيما له ثباتٌ وقرارٌ، بخلاف الإعطاءِ فإنَّ الغالبَ استعمالُهُ فيما يَنتقِلُ منه بعد قضاءِ الأَرَبِ منه، وفي الإعطاءِ دليلٌ على التَّمَلُّكِ بخلاف الإيتاءِ، ففي خصوصِ الاستعمال القُرآنيِّ لِلفظتَي (الإيتاء) و(الإعطاء)؛ فإنَّ بينَهُما فرْقًا مِن جِهَتَيْنِ[3]:

الإيـتـاءُ أَقْـوى مِـن الإعْـطـاءِ، ولا يُستعمل إلّا لِـلـشَّيْءِ الكَثير والعظيمِ الشَّأْنِ

إحداهما: أنَّ الإيتاءَ لم يُستعمل إلّا لِلشَّيْءِ الكَثير والعظيمِ الشَّأْنِ؛

(1) السّيوطيّ، الإتْقان: 2/ 367.
(2) الكَفَويُّ، الكُلّيات، ص: 212.
(3) داود، معجم الفروق الدّلاليّة، ص: 2729.

كالقرآنِ الكريمِ، والتَّوراةِ، والمُلْكِ، والرَّحمة، بخلاف الإعطاءِ؛ فإنَّهُ يُستعمَلُ لِلشَّيْءِ القليل، ولم يَرِد الإعطاءُ مُرادًا به الشَّيءُ الكثيرُ إلّا بقيدِ ما يدلُّ على الكثرَةِ.

والأخرى: أنَّ الإيتاءَ إذا صدَرَ مِنَ العَبْدِ يكون عَنْ طيبِ نفسٍ، بخلاف الإعطاءِ فهوَ مُطْلَقٌ؛ ولذلك ناسَبَ هذَيْن المعنيَيْن اصطفاءُ لفظ الإيتاء مع الزّكاة؛ لكونه شأنًا عظيمًا من حيث إنّه رُكْنٌ مِنْ أركان الإسلام؛ يُدفع لِمُستَحِقّيه عن طيبِ نفسٍ.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والثلاثون،
سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 39 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-84-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 39 : المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-84-6
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-8468153 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»